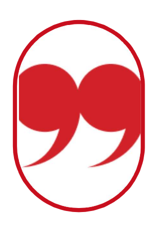



ابحث هنا

الخندق الغميق: معقل أعداء سوليدير [3\3]

لبنان

مجتمع



أحمد محسن

الإثنين 16 تموز 2012

في ليلة «ما فيها ضو قمر» غادروا جميعاً، يقول أبو قاسم ساكن «الخندق الغميق» منذ سبعين عاماً. حدث ذلك في 1975، بمنتصفه تقريباً، بعد شهر تقريباً على حادثة عين الرمانة وانطلاق حملات الذبح. تتذكر وما تنعاد. «يلعنها شو كانت بشعة». واللازمات عينها يرتلها أبو قاسم بأسف. لكن من يقنع آل تابت في العودة. ضجيجهم انتهى في أكثر من منزل وفي بناياتهم سكن الممثل فيليب عقيقي. مهجرون هناك وجدوا صوراً شخصية له. غادر هو الآخر وترك ذكرياته في المبنى المحترق.

أبو فادي السمّان غادر أخيراً، ولا شك في أنه حزن لمغادرة عقيقي جاره والآخرين. من يقول لآل مسعد إن الخندق الغميق مثل الأشرفية؟ أرض واحدة يفصل بينها «مبنى أشمون». بعد كل شيء من يقنعهم بالعودة إلى الحيّ الذي صار اسمه حيّ كونين مثلاً.

محور الرعب

في الخلف، كانت المباني جميعاً على شاكلة «مبنى أشمون». لم تشفع للمبنى صاحب النوافذ المربعة «حداثته» في السبعينيات، فسقط التحديث من الذاكرة وبقي «النار والنور». بناية «النار والنور» هي البناية المهترئة في «نزلة فلافل صهيون» المؤدية إلى ساحة الشهداء. اسمها يستدعي انطباعاً مخيفاً. النار والنور. كأن السكان أشباح. لم يعرف الذي سماها أنهم سيصبحون كذلك فعلاً. بعد رحيل الجيش السوري منها بقيت أشباح الذين تعاقبوا. قرب هذه البناية التي حمت الخندق من (بعض) رصاص القناصين. مرّ إيلي حبيقة في 1985. يذكر سكان المنطقة «استضافتهم للقوات اللبنانيّة». رأوهم ذات صباح يعبرون بقيادة إيلي حبيقة، الذي «اتفق مع السوريين حينها»، كما يقول

أحد العارفين بتاريخ المنطقة. كان مشهداً غريباً. البزات الزيتيّة المعادية «تتمخطر» في «بيروت الغربيّة». عبروا باكراً تحت ضوء الفجر الشحيح بموافقة «أبو الرعب» و«أبو الظلام» و«أبو الجماجم». تلك كانت أسماء «دارجة» في الخندق. قطعت «جماعة حبيقة» الخندق عبر «حيّ النبعة» واقتحمت الأشرفيّة «ضد قوات جعجع». وفشل الغزو. وعلى ذمة العارفين، يومذاك «الجيش اللبناني بقيادة الجنرال عون هو الذي صدّ هجوم حبيقة». انتهت المعركة الحاسمة في الخندق الغميق بانسحاب قوات حبيقة مهزومة. «محور أشمون» ظلّ ممسوكاً من القوات حتى نهاية الحرب. أما على «محور الماليّة» الذي يُرعب اسمه سكان الخندق، فهناك صولات وجولات. نزف الخندق قرب المحور الأخير، لكنه لم يمت.

على سيرة الموت الوفير، يتذكر أبو حسين حراجلي «حرب القناصين». «خط التماس» تسمية قديمة لا تعبّر عن حجم المجازر. وكما في عين المريسة ـ الصيفي وطريق صيدا القديمة (الشيّاح ـ عين الرمانة)، كانت الأمور بين الخندق الغميق والأشرفيّة. لسنوات طويلة، دارت حرب جانبية هناك بين رجلين. جزاران اثنان: قناص بناية أشمون في مواجهة الأرعن الآخر توأمه في بناية أحمد ناجي فارس. صفّى الوحشان حساباتها مع الجميع. وعلى ذمة حراجلي «خسرنا الكثير في الخندق من القنص». القناص ذئب لا يوفر طفلاً ولا امرأة ولا شيخ. يدسّ عينه في بندقيته ويصطاد حيوات العابرين. أبو حسين يذكر جارته في الطبقة الخامسة. زلفا التي كانت تنشر ثياباً بيضاء على حبال موتها، ماتت مجاناً ولم تشبع شهوة القاتل. «زلفا ليست من المهجرين». كانت «بنت الخندق». سقطت على شرفتها في وضح النهار، لا لشيء إلا لأنها ظهرت في مرمى الوحش. سمعوا صرختها الأخيرة ودفنوها في اليوم التالي وفي قلوبهم حقد رهيب.

حروب الإخوة

في الثمانينيات، انفلش الحقد كبقعة زيت في الخندق. تمدد بين أهله و«أعداء» الضفة الأخرى أولاً وبين أهله وفي ما بينهم ثانياً. شارع الزهراوي كان مسرحاً لقتال عنيف بين الشيوعيين وحركة أمل. البعثيون العراقيون وحركة أمل تقاتلوا في حي آل خريس. الشيوعيون والبعثيون السوريون تناحروا بدورهم. حزب الله «أيام الطفيلي» وحركة أمل «في عزها» عاشوا صراعات داميّة. وإن تعدّوا حروب

«الإخوة» في الخندق، فلن تحصوها. عمليّاً، أول اغتيال سياسي معاصر في الخندق الغميق كان في 1966 وأودى بمؤسس صحيفة الحياة كامل مروة الذي كان معارضاً للرئيس المصري جمال عبد الناصر. سموا الشارع باسمه، لكن الشارع غادر الخريطة. بين فندق «مونرو» (المركزية) في «سوليدير» المتصابية و«زاروب الحراميّة» الذي حوله «شباب المنطقة» إلى «حمّام عام» كان الشارع. اليوم هناك الجسر. واغتيال آخر بارز في الخندق الغميق هو اغتيال المفكر الشيوعي حسين مروة «في الشارع الوطني» إثر الخلافات الدامية بين «حركة أمل» والحزب الشيوعي.
أحد أهم الصراعات الحاسمة في المنطقة نتج منه رحيل «المرابطون». بعدما سحقت أمل «الفصيل الناصري» في بيروت، سيطرت على المنطقة عسكريّاً وسكانيّاً، وتاليّاً ثقافيّاً. والمباني الباقية بقيت لأن «أمل» سمحت بذلك. وللمناسبة، هي مبانٍ شبه أثرية، كبناية الخنسا، وبناية إبراهيم المغربل. منذ ذلك التاريخ بدأ فرز جديد يتضح. عائلات شيعيّة بكثافة المنطقة: كركي وجزيني ونعمة وقبلان وبري وفقيه وطه، مقابل تقلص مسيحي إلى حد الانقراض. عملياً، ما زالت هناك «أصوات» للمسيحيّين في منطقة الباشورة، المنطقة التي تضم «الخندق» عمليّاً، لكن ليس من سكان «ملموسين». مجرد أصوات انسحب منها أهلها. عائلات كسمعان وصليبا وهرموش، عائلة «آخر الكنّاسين»، يأتون للاقتراع ومعظمهم لا يأتي. تبحث عنهم «الماكينات الانتخابيّة» أولاً، وبيوت الأجداد المتروكة بدرجة أقل. «الماكينات الانتخابيّة» حقيقة. البيوت نوستالجيا.
أحد هؤلاء الذين بقوا هو «إيلي». حسناً، اسمه ليس كذلك. هو الذي اختار الاسم. شاب في نهاية الثلاثينيات أو بداية الأربعينيات. يرتدي «فانيلا» سوداء عليها صورة لبوب مارلي. لا يعرف صاحب الصورة واستفزّه تصويرنا لأحد البيوت القديمة على مقربة من «كنيسة السريان». علقت على المنزل لافتات كتبت عليها شعارات دينيّة. رفض التصريح عن نفسه. «ابن المنطقة». هذا كافٍ برأيه. سرعان ما استجاب واستمتع بسرد تاريخها، وهو الذي يعرفها «منذ أربعين عاماً». البيت الذي فقد سقفه وصار مكشوفاً على التغيرات «عمره 300 عام». الشاب متأكد من ذلك. يقول لنا إنه من «الباقين»... «جماعتنا فلوا من الألفين». وعندما يقول: «جماعتنا» يقصد الشيعة. اختار لنفسه اسم «إيلي» من أجل «الأمنيّات». «إيلي» ودود. استفاض في شرح التحول الديموغرافي على طريقته. تروقه «التركيبة» الجديدة. لا خلافات اليوم. ووفقاً لساكن أعتق منه، فإن مغادري الخندق من المهجرين تقريباً «10 آلاف نسمة». ومثلهم غادر آخرون بعدما حصلوا على تعويضات من

«الملاك الأساسيين».
أبو حسين حراجلي عمره ثمانون عاماً. سبعون منها في الخندق الغميق. بعد صراع طويل، استمر لأربع سنوات «في العدليّة» أخرجه المالك من منزله بالقوة. تعلم العيش خارج الخندق، لكن الشيء الوحيد الذي يعزيه هو «محله قرب المنزل القديم». يستيقظ في السادسة من كل يوم ويوزع الصحف كأننا في 1960. «راحت ناس وإجت ناس»... بالنسبة إليه «الخندق هو الخندق». البيت والمحل والذاكرة.

فرفور ذنبو مغفور

يتذكر سكان المنطقة أن الروم الأرثوذكس، أو «الروم» حاف، كما درجت التسميّة شعبيّاً، لم يكونوا في «خط سياسي بعيد عن المسلمين تاريخيّاً، وخصوصاً في الأحياء الداخليّة لبيروت». فوالد النائب عاطف مجدلاني، نسيم مجدلاني، طيب الذكر في المنطقة، على عكس نجله عاطف (الصورة). كان طبيباً محبوباً و«قريباً من الناس». يذكرونه رغم أنه انتخب أول مرة في 1943، بينما «لا يحبون ذكر اسم عاطف في المنطقة، وقد انتخبوه بناءً على التحالف الرباعي». طبعاً، لا يحبون النائب عاطف مجدلاني لأنهم في الأصل لا يحبون «تيار المستقبل»، رغم أنهم يرزحون على مرمى نظرة من مشروعه الأبرز، سوليدير. وفي السياسة، التحالف الرباعي سيئ الذكر في الخندق الغميق... «المجدلاني لا يمثلنا»، يقول بائع السمانة غاضباً. أثّر انضمام «المجدلاني» إلى تيار المستقبل على سمعته في المنطقة، لكن الحدث الأبرز هو «نقل نفوسه من المزرعة إلى الأشرفية». هذا شيء لا يغفرونه، بل يقولون إن «الملاك يأتون لطردنا نحن أبناء المنطقة الذين دافعنا عنها». أما النائب، ف«فرفور ذنبو مغفور». غادر مع المغادرين ولم يعد ينتمي إلى الخندق «حتى في سجلات النفوس».

مقالات ذات صلة

لبنان

أماني: مشروع نزع السلاح «مؤامرة» ونحذّر من الوقوع في «فخ الأعداء»

الاخبار 2025-04-19

لبنان

منطق أعداء المقاومة: مصلحة لبنان بالخضوع لعدوّه!

علي حيدر 2025-04-14

لبنان

العدو يغير على منطقة الدبشة في يحمر الشقيف ويوقع 3 شهداء

الاخبار 2025-03-27

لبنان

الجيش يعثر على 3 منصات صواريخ شمال نهر الليطاني

الاخبار 2025-03-22

الأكثر قراءة

ثقافة

السعودية «تُبرّئ» فضل شاكر... المسامح كريم!

زينة حداد 18.04.2025

لبنان

قائد الجيش في مجلس الوزراء: «حزب الله» متعاون جداً والعقبة هي إسرائيل

الاخبار 18.04.2025

عرب

ازدحام في فروع الهجرة والجوازات وطرق التهريب

مروة جردي 18.04.2025

لبنان

28.1 مليار دولار احتياطي الذهب يساوي 123% من الناتج المحلّي

لبنان

قاسم: سنواجه من يعمل على نزع سلاحنا

الأخبار 18.04.2025

لبنان

سرقة 180 لوحة مميّزة

الأخبار 18.04.2025



